يحكى أن

٥

بين العقل واللئيم

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

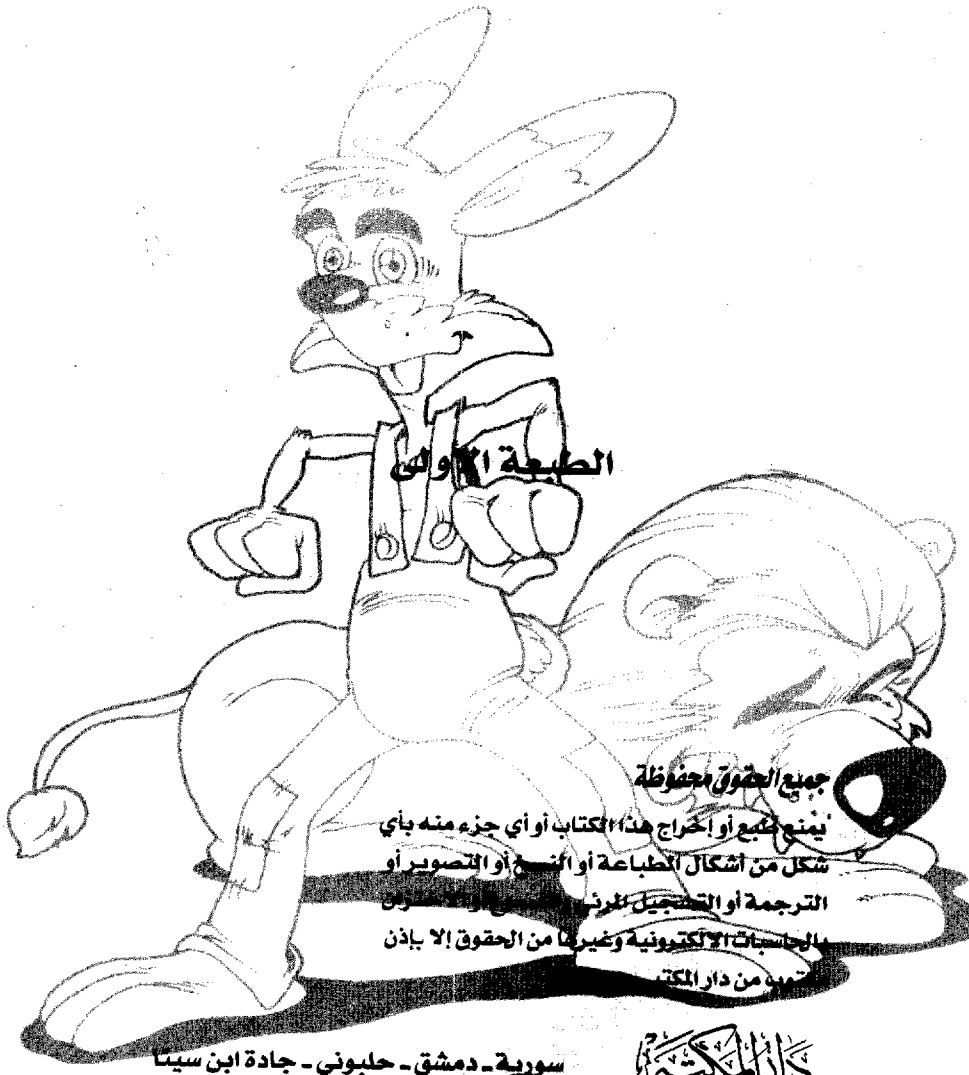

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يُمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي
شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو
الترجمة أو التسجيل المرئي [illegible]
بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن
[illegible] من دار المكتبي

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

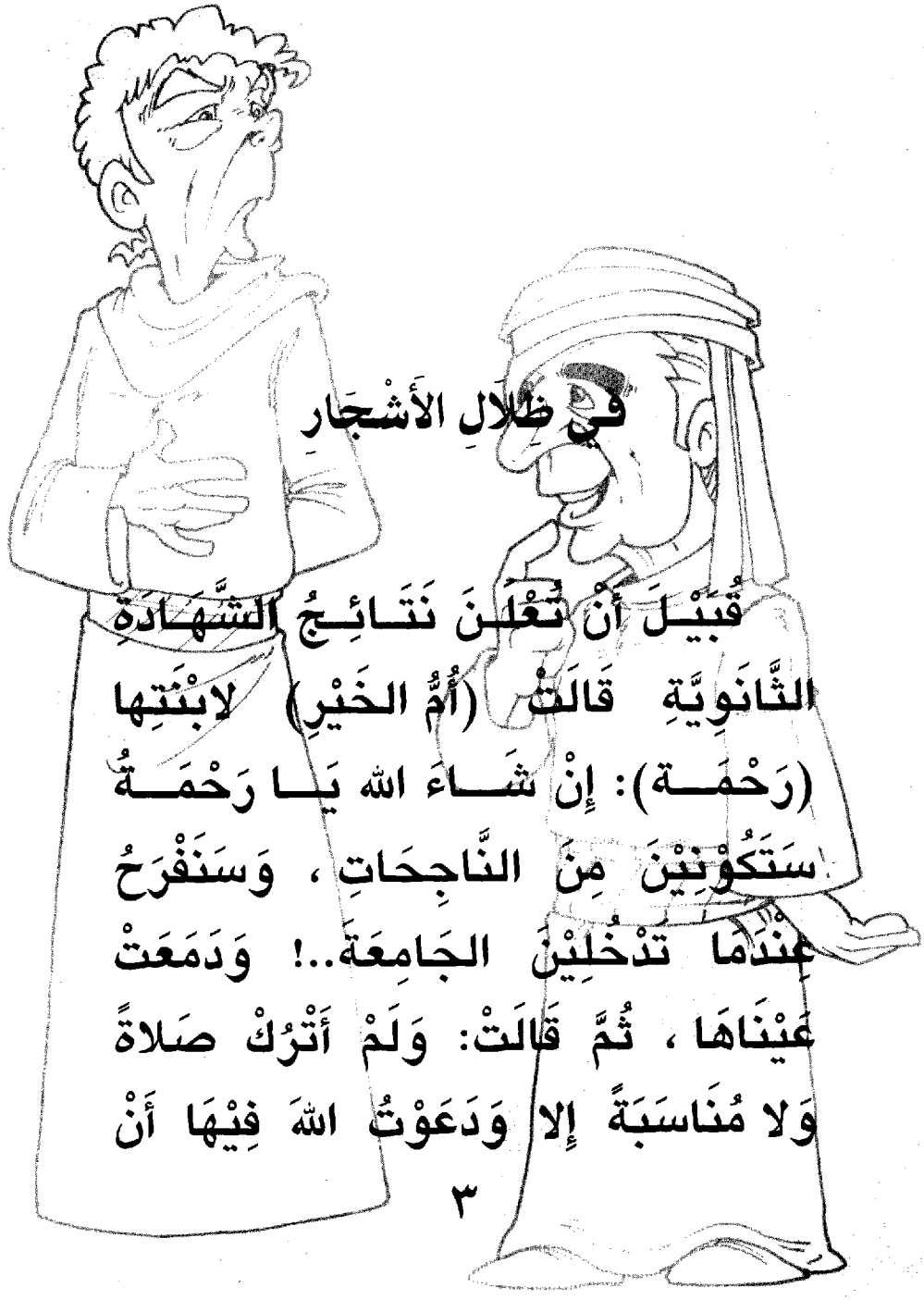

فِي ظِلَالِ الأَشْجَارِ

قُبَيْلَ أَنْ تُعْلَنَ نَتَائِجُ الشَّهَادَةِ الثَّانَوِيَّةِ قَالَتْ (أُمُّ الخَيْرِ) لابْنَتِهَا (رَحْمَة): إِنْ شَاءَ الله يَا رَحْمَةُ سَتَكُوْنِيْنَ مِنَ النَّاجِحَاتِ، وَسَنَفْرَحُ عِنْدَمَا تَدْخُلِيْنَ الجَامِعَةَ..! وَدَمَعَتْ عَيْنَاهَا، ثُمَّ قَالَتْ: وَلَمْ أَتْرُكْ صَلاةً وَلا مُنَاسَبَةً إِلا وَدَعَوْتُ اللهَ فِيْهَا أَنْ

يَكْتُبَكِ مِنَ المُتَفَوِّقَاتِ.

هَزَّتْ رَحْمَةُ رَأْسَهَا وَقَالَتْ: إِنْ شَاءَ الله يَا أُمِّي سَأَكُوْنُ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّكِ!!.

فَقَالَ الأَخُ الكَبِيْرُ (خَيْرُ اللهِ): وَإِذَا كَانَتْ مِنَ الفَائِزَاتِ إِنْ شَاءَ اللهُ فَسَنَذْهَبُ جَمِيْعَاً إِلَى مَزْرَعَةِ (عَيْنِ البَيْضَة)، وَسَنُمْضِي فِيْهَا يَوْمَاً كَامِلاً، وَسَنَأْخُذُ مَعَنَا جَدَّتِي (أُمَّ الحَسَنِ).

وَرَحَّبَ الجَمِيْعُ بِالفِكْرَةِ... وَقَرَؤُوا عَلَى تِلْكُمُ النِّيَّةِ الفَاتِحَةَ.

وَدَارَ الزَّمَنُ دَوْرَتَهُ، وَأُعْلِنَتْ نَتَائِجُ

الشَّهَادَةِ الثَّانَوِيَّةِ. وَكَانَ تَرتِيْبُ (رَحْمَةَ) الثَّانِيَةَ عَلَى المُحَافَظَةِ.

وَفِي السَّهْرَةِ المُبَارَكَةِ، حَيْثُ الحَلْوَيَاتُ وَالفَوَاكِهُ، وَالمُكَسَّرَاتُ، وَالشَّرَابُ، وَ... وَمَا لَذَّ وَطَابَ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَى الوُجُوْهِ عَلَامَاتُ السُّرُوْرِ.

قَالَ (خَيْرُ اللهِ): وَفِي هَذِهِ المُنَاسَبَةِ الرَّائِعَةِ أَنْتُمْ جَمِيْعَاً مَدْعُوُّونَ لِقَضَاءِ يَوْمٍ كَامِلٍ فِي مَزْرَعَةِ صَدِيْقِنَا، وَذَلِكُمْ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ القَادِمِ.

قَفَزَ (مَنَارٌ) فِي الهَوَاءِ فَرِحاً بِذَلِكَ الخَبَرِ، وَقَالَ: وَلَكِنْ كَيْفَ سَنَسْتَمِعُ

إِلَى حِكَايَةِ جَدَّتي (أُمِّ الحَسَن) ، فَهِيَ قَدْ وَعَدَتْنَا أَنْ تَحْكِيَ لَنَا فِي كُلِّ مَساءٍ حِكَايَةً مِنْ حِكَايَاتِهَا الرَّائِعَةِ ، وَالمُفِيْدَةِ؟

ضَحِكَ الْجَمِيْعُ مِنْ تَصَرُّفَاتِ (مَنَارٍ) البَرِيْئَةِ ، وَقَالَ وَالِدُهُ: مَعَكَ الحَقُّ ، فَالحِكَايَاتُ الَّتِي تَحْكِيْهَا الوَالِدَةُ (أُمُّ الحَسَنِ) مُفِيْدَةٌ ، ومُشَوِّقَةٌ ، وَرَائِعَةٌ ؛ لِذَلِكَ سَنَأْخُذُهَا مَعَنَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى!.

وَفِي يَوْمِ الثُّلاثَاءِ كَانَتِ الجَلْسَةُ جَمِيْلَةً فِي ظِلالِ الأَشْجَارِ ، وَبِالقُرْبِ

مِنَ الْيَنَابِيْعِ ، وَالأَنْهَارِ ، فَلَعِبَ الأَوْلاَدُ وَمَرِحُوا ، وتَسَامَرَ الكِبَارُ ، وَتَذَكَّرُوا أَيَّامَ الصِّبَا و.... ، وَقُبَيْلَ الغُرُوْبِ قَالَ (خَيْرُ الله) لِجَدَّتِه: لَقَدْ وَعَدْنَا الأَوْلاَدَ أَنْ يَسْتَمِعُوا إِلَى حِكَايَةٍ مِنْ حِكَايَاتِكِ المُفِيْدَةِ . فَهَلْ لَدَيْكِ مَانِعٌ مَا؟ أَمْ تَوَدِّيْنَ ذَلِكَ؟.

قَالَتْ: بَلْ عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ. فَالوَقْتُ مُنَاسِبٌ تَمَاماً ، والجَوُّ لَطِيْفٌ ، وَالهَوَاءُ عَلِيْلٌ.

وفي لَحَظَاتٍ اجْتَمَعَ الأَوْلاَدُ حَوْلَ

جَـدَّتِهِـم ، ورَاحَـتْ تَحْكِـي لَهُـم هَـذِه الحِكَايَةَ.

بَيْنَ مُغَفَّلٍ وَلَئِيمٍ!!

اتَّفَقَ رَجُلانِ عَلَى أَنْ يَشْتَرِكَا فِي تِجَارَةٍ مَعَاً ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا لَئِيْمَاً سَيِّىءَ السُّلُوْكِ ، يُحِبُّ الغَدْرَ والخِيَانَةَ ، وَكَانَ الثَّانِي مُغَفَّلاً ، قَلِيْلَ الفَهْمِ ، لَا يَرَى أَبْعَدَ مِنْ مَوْطِىءِ قَدَمَيْهِ!.

وَذَاتَ مَرَّةٍ كَانَا مُسَافِرَيْنَ إِلَى أَحَدِ البُلْدَانِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ.

وَإِذَا بِالرَّجُلِ المُغَفَّلِ يَعْثُرُ عَلى كِيْسٍ مُمْتَلِىءٍ بِالدَّنَانِيْرِ، فَالْتَقَطَهُ، وَأَخْفَاهُ تَحْتَ ثِيَابِهِ.

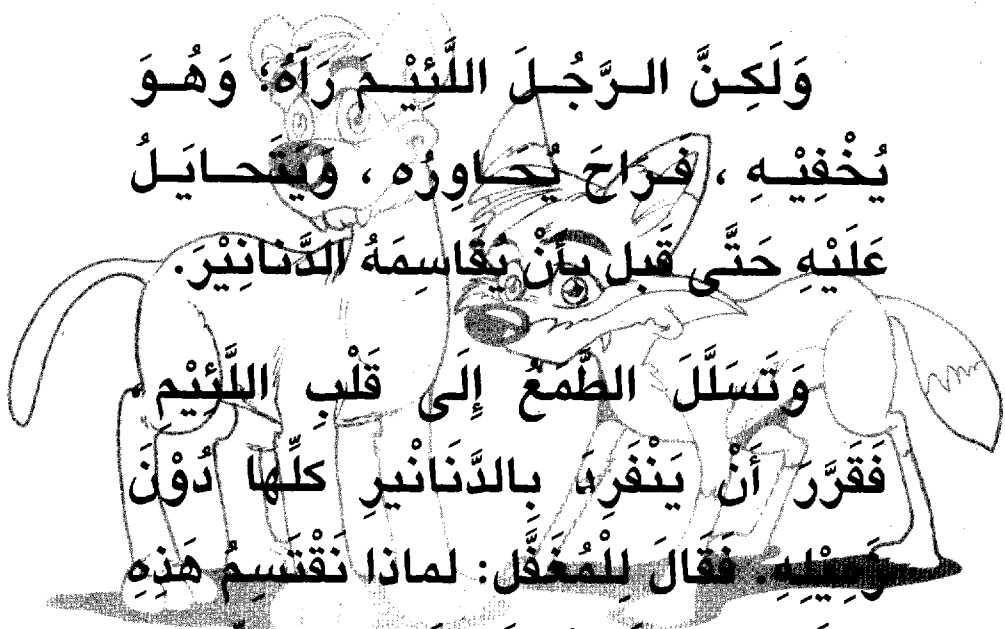

وَلَكِنَّ الرَّجُلَ اللَّئِيْمَ رَآهُ، وَهُوَ يُخْفِيْهِ، فَرَاحَ يُحَاوِرُه، وَيَتَحَايَلُ عَلَيْهِ حَتَّى قَبِلَ بِأَنْ يُقَاسِمَهُ الدَّنَانِيْرَ.

وَتَسَلَّلَ الطَّمَعُ إِلَى قَلْبِ اللَّئِيْمِ، فَقَرَّرَ أَنْ يَنْفَرِدَ بِالدَّنَانِيرِ كلِّها دُوْنَ زَمِيْلِهِ. فَقَالَ لِلْمُغَفَّلِ: لماذا نَقْتَسِمُ هَذِهِ الدَّنَانِيْرَ، وَنَحْنُ شَرِيْكَانِ فِي التِّجَارَةِ نَرْبَحُ وَنَخْسَرُ مَعاً؟ أَلَيْسَ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ يَأْخُذَ كُلٌّ مِنَّا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الآنَ،

وَنَضَعُ البَاقِي في حُفْرَةٍ عَمِيْقَةٍ بِجِوَارِ جِذْعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ. وَكُلَّما احتَجْنَا إِلَى المَالِ؛ أَتَيْنَا إِلَى هَذَا المَكَانِ ، وأَخَذْنَا مِنْهُ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ دُوْنَ أَنْ يُحِسَّ بِنَا أَحَدٌ؟!

وَوَافَقَ المُغَفَّلُ عَلَى اقْتِرَاحِ اللَّئِيمِ ، فَأَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمَا مَا يَكْفِيْهِ مِنْ الدَّنَانِيْرِ وَأَخْفَيَا الكِيْسَ فِي حُفْرَةٍ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَعَادَا رَاجِعَيْنِ.

دَلِيْلٌ عَلَى ذَلِكَ؟!

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ نَفِدَتْ دَنَانِيْرُ

المُغَفَّلِ ، فَانطَلَقَ إِلَى اللَّئِيْمِ فَأَخْبَرُهُ أَنَّهُ قَدْ أَفْلَسَ ، وأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى المَالِ.

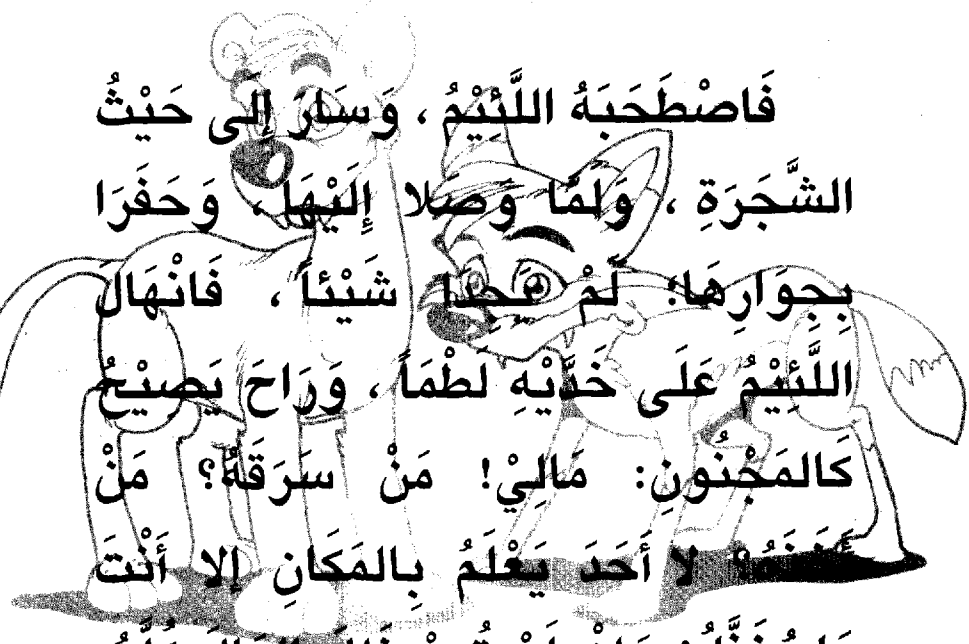

فَاصْطَحَبَهُ اللَّئِيْمُ ، وَسَارَ إِلَى حَيْثُ الشَّجَرَةِ ، وَلَمَّا وَصَلا إِلَيْهَا ، وَحَفَرَا بِجِوَارِهَا ، لَمْ يَجِدا شَيْئاً ، فَانْهَالَ اللَّئِيْمُ عَلَى خَدَّيْهِ لَطْماً ، وَرَاحَ يَصِيْحُ كَالمَجْنُونِ: مَالِيْ! مَنْ سَرَقَهُ؟ مَنْ غَدَرَ بِهِ؟ لا أَحَدَ يَعْلَمُ بِالمَكَانِ إلا أَنْتَ يَا مُغَفَّلُ! وَإِنْ لَمْ تُعِدْ ذَلِكَ المَالَ كُلَّهُ. وَعَلى جَنَاحِ السُّرعَةِ. فَسَأَشْكُو الأَمْرَ إِلَى القَاضِيْ!!.

فُوْجِىءَ الرَّجُلُ المُغَفَّلُ بِمَا سَمِعَ ، وَرَأَى ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: وَمِنْ الَّذيْ جَاءَ إِلَى المَكَانِ ، وَسَرَقَ الدَّنَانِيْرَ كُلَّهَا!!.

وَأَمَامَ القَاضِيْ وَقَفَ اللَّئِيْمُ يَتَبَاكَى عَلَى الدَّنَانِيْرِ الَّتي قَضى مِنْ أَجْلِهَا اللَّيَالِي وَالأَيَامَ. ثُمَّ قَالَ لِلْقَاضِي: يَا سَيِّدِي! إِنَّ الَّذي سَرَقَ الدَّنَانِيْرَ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ المُغَفَّلُ ، فَأَرْجُوْكَ أَنْ تُنْزِلَ بِهِ أَشَدَّ العُقُوبَاتِ! فَقَالَ القَاضِيْ: أَلَدَيْكَ دَلِيْلٌ عَلَى مَا تَقُوْلُ؟

قَالَ: نَعَمْ ، إِنَّهَا الشَّجَرَةُ الَّتِي

أَخْفَيْنَا بِجِوَارِهَا المَالُ: وَأَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّها سَتَنْطِقُ بِالحَقِيْقَةِ!.

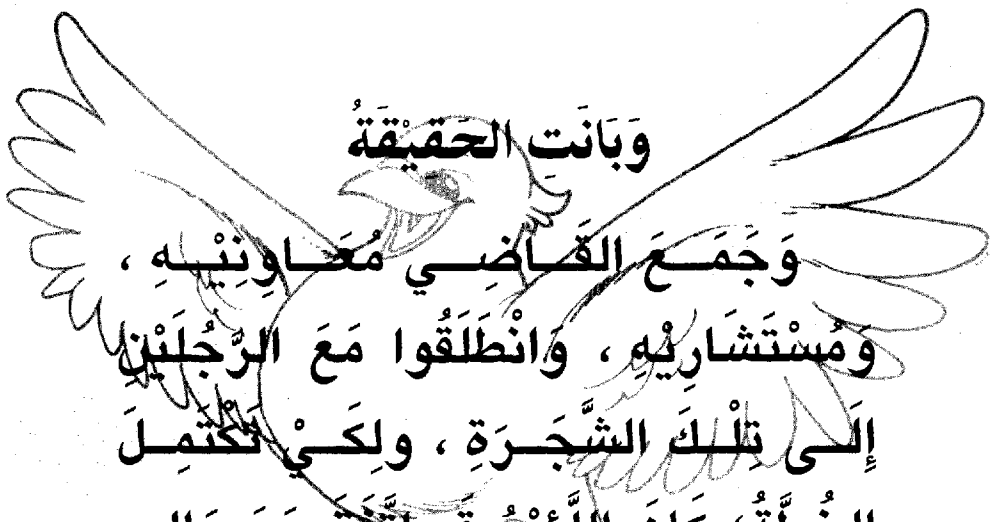

وَبَانَتِ الحَقِيْقَةُ

وَجَمَعَ القَاضِي مُعَاوِنِيْهِ، وَمُسْتَشَارِيْهِ، وَانْطَلَقُوا مَعَ الرَّجُلَيْنِ إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ، ولِكَيْ تَكْتَمِلَ الخُطَّةُ؛ كَانَ اللَّئِيْمُ قَدِ اتَّفَقَ مَعَ وَالِدِهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ جَوْفِ الشَّجَرَةِ مَكْمَناً لَهُ؛ وَيُجِيْبَ عَنِ الأَسْئِلَةِ الَّتِي تُوَجَّهُ إِلَى الشَّجَرَةِ!.

وَبَعْدَ ذَلِكَ قَالَ القَاضِي لِلشَّجَرَةِ:

بِحَـقِّ مَـنْ جَعَلَـكِ شَجَـرَةً طَيِّبَـةً أَنْ تَتَحَدَّثِي عَمَّنْ سَرَقَ الدَّنَانِيْرِ؛ الَّتِي كَانَتْ مَخْبُوءَةً بِجِوَارِكِ!.

فَـأَجَـابَ وَالِـدُ اللَّئِيْـمِ مِـنْ دَاخِـلِ الشَّجَرَةِ: إِنَّهُ المُغَفَّلُ ، أَخَذَهَا فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ.

فَقَالَ القَاضِي: اجْمَعُوا لِيْ حَطَباً وَقَشّاً ، وَأَوْقِدُوا لِيْ نَاراً تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ حَتَّى تُحرَقَ عَنْ آخِرِهَا!.

وَانْـدَلَعَـتِ النِّيْـرَانُ فِـي أَغْصَـانِ الشَّجَرَةِ وَسَاقِهَا ، فَصَاحَ وَالِدُ اللَّئِيْمِ: أَدْرِكُوْنِي قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَنِي النَّارِ ، فَأَنَا

مُوْشِكٌ عَلَى الهَلاكِ!.

وَأُخْرِجَ الرَّجُلُ مِنْ دَاخِلِ الشَّجَرَةِ، وَاعْتَرَفَ بالتَّزْوِيْرِ، والجَرِيْمَةِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا وَلَدُهُ اللَّئِيمُ، فَانْهَالَ القَاضِي وَأَعْوَانُهُ عَلَى اللَّئِيْمِ ضَرْبًا! وَأَمَرُوْهُ بِإِعَادَةِ الدَّنَانِيْر! وَهَكَذَا بَانَتِ الحَقِيْقَةُ!.

وفَازَتْ (مَنَارَةُ) بِالجَائِزَةِ

فَقَالَتْ (مَنَارَةُ) لِجَدَّتِهَا: وَأَنَا أَعْرِفُ أَهَمَّ مَا تَهْدِفُ إِلَيْهِ الحِكَايَةُ: إِنَّه دَرْسٌ رَائِعٌ عُنْوَانُهُ: (الغَدْرُ نِهَايَتُهُ وَخِيْمَةٌ)،

فَصَفَّقَ الجَمِيْعُ لَهَا ، وَنَالَتِ الجَائِزَةَ مِنْ جَدَّتِهَا (أَمِّ الحَسَنِ).

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *